إعجاز التَّسْوِير وآلاتُه البيانية

ــ قراءة في أسلوبية التَّضام النّظْمي ولسانيات الخطاب ــ

Coranic*Surats*'Linguistic Challenge and its Eloquent Tools: A Reading in the Stylistics of Compositional Collocation and Discourse Linguistics

محمد الأمين خلادي*

مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أحمد دراية– أدرار، الجزائر.

amine_proof@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2024/03/01 تاريخ القبول 2024/04/09 تاريخ النشر 2024/06/22

ملخص:

تنَّاظَمُ وتتَناظم حروف الكلِم في البيان العربي أيما تناظُم قصد إبلاغ الرسالة وتوصيل الدلالة، ذاك الملحوظ في سجية العرب شعرا ونثرا فنيا منذ القدم، أمّا والحال في بيان الإعجاز فالتّناظم اللساني البياني في الآيات والسور الكريمات يتناسب والمعاني القرآنية حكمة وحُكما، أمرا ونهيا، قصا وخبرا،...

ومرادفات النّظْم المعجز كثيرة عديدة متنوعة، اخترت منها التَّضامَ تبعا للتّسْوير القرآني المجيد، على أن النظم الإعجازي واقع في المعنى والمبنى على حد سواء، نظْم له بلاغة اِتّساق ومشكاة نور، هو هداية

وشفاء لما في الصدور، تلك أنْظام معجزة تَخِذَت آلات تِبْيانية في مُحْكم الآيات والسور، من اجتماع القول لفظا ودلالة في الكتاب العزيز.

* المؤلف المراسل

ولذلك القول أوجه متعددات في ابتِناء الآية ثم السورة وقد اكتملت معانيهما القصدية بعد تضامٍ نظمي معجز يُؤالِف بين الصوت والمعجم والكلمة والجملة والتركيب وأنواع الأساليب والصور والفواصل والفصل والوصل وسائر الروابط وأدوات شتى...؛ حتى إذا شُدَّت تلك الأعضادُ بعضها ببعض تسوَّرت السورة وتم كمالها، كما الآيةُ أيضا، وحسب مقدور الله تعالى وتوقيفه كما وكيفا...

فالهدف الأساسُ من دراستي الإبانة عن ذلك بالمثال القرآني، وبما سبقني غيري إليه من اجتهاد عتيق كالعلامة الزّركشي ومن قبله ومن بعده، ثم بعضٍ من البحَثةِ المتأخرين، مُركزا على تخريجاتي التي تؤكد بيانية الإعجاز في أنه أسوة للاِدِّكار والاقتدار والمحاكاة تعلُّما وإفادة تطيب للمتعلم المبتدئ والباحث والعالم المتضلّع والمبدع الفنان...

الكلمات المفتاحية: إعجاز التَّسْوِير؛ أسلوبية التَّضَام النَّظْمِي؛ لسانيات الخطاب.

Abstract:
Arabic eloquence letters are arranged marvelously for the sake of transmitting the message and communicating the meaning, and this is clear as an Arab attribute in poetry and prose since ancient times. As to the eloquence inimitability and challenge in the Coran, the eloquent linguistic arrangement in verses and *surats*goes hand in hand with the Coranicmeanings in wisdom and provision, in command and prohibition, in story narration and news reporting, etc. The inimitable versifying synonyms are multiple, but I chose collocation(التضام) in reference to the glorious Coranic*surat* making though the inimitable versifying occurs both in meaning and structure. It is a versification with eloquent harmony and guiding light. It is a guide and cure for the hearts. Thatischallenging compositionwhich has taken from the Coranicsuratsclarifying tools in the compact and coherent verses and *surats*, in the word of the Almighty Allah. That word has multiple faces in constructing the verse then the *surat*when the targeted meaning is achieved after a challenging versifying collocation. The main objective of my study is to clarify this feature by providing examples from the Coran as well as from citations of previous scholars such as Zarkaly and others, and from contemporaneous ones.

Keywords: *Surat* versification challenge; stylistics of compositional collocation; discourse linguistics

مقدمة:

أستهل ورقتي ببيان موضوعها الذي يختص في الحديث عن منزلة التسوير الإعجازية الدالة على أعظم تبيان يُستدل به على النظم والانسجام والتماسك والاتساق... وما شاكل ذلك، ألا وهو الذكر الحكيم المتسم بخطاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، محكمِ الصنعة بيد المتقن سبحانه وتعالى، يعلى ولا يعلى عليه، وقد علَّم الخالقُ تعالى القرآنَ وخلق الإنسان علمه البيان؛ مطلق الإنسان وذلك فيه بيان على عموم اللفظ.

ومن الأهداف ذكر بعض الآلات البيانية التي تدل عليها السور القرآنية عينُها تدليلا يخص كل سورة كريمة بتسويرها المخصوص بها؛ وقد سبق إلى توضيح ذلك علماء كثر من أوائل اللغويين والمفسرين والبلاغيين والعلماء الفقهاء والأصولين... وسواهم، وذكر العلاقات الكائنة بين أسلوبية التّضام المعجز ولسانيات الخطاب الموصولتين بالنظم القرآني المختلف عن كل نظم بياني تصنعه ألسنة البشر وأقلامهم، اختلاف ما بين الحق تعالى والخلق...

واصطنعت خطة مفادها هذه المقدمة، ثم عناصر هي:

1- إعجاز التَّسْوِير وآلاتُه البيانية، –قراءة في أسلوبية التَّضام النّظْمي ولسانيات الخطاب–؛ قراءة في عنوان المداخلة.

2- اسم السورة عنوانها، والعلاقة بين ذلك ونص السورة

3- سورة العلق أول تضامٍ نظْمي في الخطاب الإعجازي

4- التَّسْوار الإعجازي في سورة يوسف –عليه السلام–

ثم خاتمة البحث بنتائج المخرجات والمقترحات والتوصيات.

ولا بد عند قراءتي من اعتماد الشواهد القرآنية المسوقة، مبينا الموضوع المبحوث بتدبُّرات وإِدِّكارات خاصة غير منسلخة عن بعض المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

1– إعجاز التَّسْوِير وآلاتُه البيانية، –قراءة في أسلوبية التَّضام النّظْمي ولسانيات الخطاب–؛ قراءة في عنوان المداخلة.

أعني بالتّسوير اجتماع الآيات الكريمات في سورة واحدة، يطلق عليها اسم خاص بها، يميزها عن غيرها؛ والتسوير في اللغة من سَوَر كحَاط وحوَط، وفي لسان العرب من مادة:" سور" « والسورة: المنزلة، والجمع سور، والسورة من البناء ما حسن وطال .وقال الجوهرى :والسور جمع سورة، مثل بسرة وبسر، وهى كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى، والجمع سور ... ويجوز أن يجمع على سورات، وسورات .وقال ابن سيده: سميت السورة من القرآن سورة لأنها درجة إلى غيرها، ومن همزها جعلها بمعنى بقية من القرآن وقطعة، وأكثر القراء على ترك الهمزة فيها. من سؤرة المال، ترك همزه لما كثر في الكلام...

وأنشد النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

معناه :أعطاك رفعة وشرفا ومنزلة. » (ابن منظور، 1999، ص 2147)

وأساس التعريف هنا ما تعلق بالسورة القرآنية باعتبارها جزءا من أجزاء القرآن الكريم، ودلالة الإحاطة هي المقصودة بالتسْوير علامة على حدّيْ السورة بدءا وختما، وكذا تجميعها الإعجازي الدال عليها من جهة مضمونها ومعانيها وسبب نزولها وكل مُتَقصّداتِها المرادة منها...، وأيّ تجميع سُورِي في كل سورة موصول بالتّسوير الكامل التام في القرآن الكريم كله سورة سورة، فالقرآن مُسَوَّر أيضا، مجموع من حد فاتحته إلى حد سورة الناس.

ولا بأس بسوق مقولة عن حقيقة الإعجاز من المقولات المغمورات التي يندر إيرادها في أغلب البحوثات والتآليف، قول العلامة الفيروزآبادي « ...وكلُّ معجزة كانت لنبيٍّ من الأَنبياءِ فكان مثلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إِظهارها له ميسَّراً مسلماً.

وأَفضل معجزاته وأَكملها وأَجلُّها وأَعظمها القرآن الذي نزل عليه بأَفصح اللُّغات، وأَصحِّها، وأَبلغها، وأَوضحها، وأَثبتها، وأَمتنها، بعد أَن لم يكن كاتباً ولا شاعراً ولا قارئاً، ولا عارفاً بطريق الكتابة، واستدعاءٍ من خطباءِ العرب العرباءِ وبلغائهم وفصحائهم أَن يأْتوا بسورة من مثله، فأَعرضوا عن معارضته، عجزاً عن الإِتيان بمثله، فتبيَّن بذلك أَن هذه المعجزة أعجزت العالَمِين عن آخرهم. » (الفيروز آبادي، 1996، ص 67)

هي علامة دالة على اللسان العربي الذي وهبه الله تعالى نبيه محمدا —صلى الله عليه وسلم–، إذ إن معجزته بيانية ضمت سائر المعجزات النبوية السالفة من معجزات إخوانه — عليهم السلام–، معجزة قرآنية أذهلت عباقرة الشُعّار والنُثّار والخطباء من العرب الأقحاح، فلم يستطيعوا الإتيان بها من حيث أسرارها ونظمُها وحقائقُها، رغم أنهم ملكوا ناصية اللسان العربي حكمة ونشيدا وخطابا بليغا في أمثالهم وأقوالهم، حيث لم يغنِهم ذلك في محاكاة كلام الله تعالى، وأنى لهم ذلك وقد قطعت صلتهم بتوحيد الله، وغالوا في محادّاتهم النبي.

إلى أن يقول: « ومذهب أَهل السُّنة أَنَّ القرآن معجز من جميع الوجوه :نظماً، ومعنى، ولفظا، لا يشبهه شيء من كلام المخلوقين أَصلاً، مميَّز عن خُطَب الخطباءِ، وشعر الشعراء، باثني عشر معنى، لو لم يكن للقرآن غير معنى واحد من تلك المعاني لكان معجِزاً، فكيف إِذا اجتمعت فيه جميعاً.

ومجملها إِيجاز اللفظ، وتشبيه الشيءِ بالشيء، واستعارة المعاني البديعة؛ وتلاؤم الحروف، والكلمات، والفواصل، والمقاطع في الآيات، وتجانس الصِّيَغ، والأَلفاظ، وتعريف القِصَص، والأَحوال، وتضمين الحِكَم، والأَسرار، والمبالغةُ في الأَمر، والنهى، وحسن بيان المقاصد، والأَغراض، وتمهيد المصالح، والأَسباب، والإِخبار عما كان، وعما يكون.

أَمّا إيجاز اللفظ مع تمام المعنى فهو أَبلغ أَقسام الإيجاز. ولهذا قيل :الإعجاز في الإيجاز نهاية إعجاز. وهذا المعنى موجود في القرآن إمّا على سبيل الحذف، وإما على سبيل الاختصار» (الفيروز آبادي، 1996، ص 68)

ذلك هو الرأي السديد في تخريج الدليل القاطع على حقيقة الإعجاز القرآني؛ إذ إننا لا نجد فِراقا بين قولنا عن آي الذكر: إن كلام الله تعالى ليس يشبه كلام البشر وسواهم أبدا، وقولنا عن ذات الله تعالى: إن الله ليس كمثله شيء قط.

والآلات البيانية كل ما من شأنه من مكونات اللغة مهما دق أو عظم، كالصوت والحرف والكلمة والجملة، والآية، الدالة على معنى معين مراد من كلامه –سبحانه وتعالى–، وكذا سائر الأدوات اللغوية من الروابط والتكرارات والفواصل وعلامات الشكل من حركات الخفض والرفع والفتح والتسكين، والفصل والوصل، والقرائن والإحالة، والإضافة والترادف والتضاد، والضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وأنواع الحروف، والعامل والمعمول، والشرط والتعقيب، والإيقاع المعجز الخفي من وراء الجناسات والمطابقة...، وسوى ذلك.

واخترت العنوان الفرعي: " قراءة في أسلوبية التَّضام النّظْمي ولسانيات الخطاب"، مبتغيا بذلك تحديد نوع الدراسة وهي تدبر وإِدّكار في الأسلوب المعجز للذكر الحكيم، من خلال كشف الإبانات التي احتواها نظم القرآن العظيم، وهي تَتَضامّ فيما بينها متسقة منسقة، فالكلام القرآني كله إحكامٌ مبين وذكر ميسّر، ألا ترى قول الشيخ السيوطي عن الانسجام في معتركه « هو أن يكون الكلام لخلوّه عن العَقَدةِ متحدّراً كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّة، والقرآن كله كذلك، قال أهل البديع :وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد، لقوة انسجامه.» (السيوطي،1988، ص 292).

وأما عن لسانيات الخطاب، فمنهاج القرآن العظيم ذو نظم إعجازي بلسان وسمَه المولى أنه عربي مبين، أحكمت آياته من لدن عليم خبير، ذي الصنع المتقن الذي أتقن كل شيء، فلسانيات الخطاب أقصد بها أن كتاب الله العزيز سُمي قرآنا، وهو الاسم المعجز الذي يتفرد به وحده؛ فهو مخصوص بلسان العربية الإعجازي لا عربية اللسان البشري كالعربية الجارية على الألسن عادة أو الشعر العربي أو كلام العرب في نثرها وإبداعها الفني ؛ بل هي فوقه لأنها لغة تجمع آلة اللسان العربي بخصائصه مع روح المعجزة الإلهية والنبوة المحمدية التي تلقت الكتاب العزيز.

لذلك لا تقرأ تلك العربية واللسان القرآني كما يُقرأ غيره من كل كلام، وإنما يقرأ قراءة توحيد وعبادة وتقرب، له من الخصائص والأسرار والحكم و الأحكام ما يفرده وحده، لأن مصدره الذات العلية وإن كان منزلا بحروف العربية ذاتها، إذ يختلف عن ألسنة عربية أخرى، كما أن القراءة المعنية هي تفسير كلام الله تعالى بشرائط رسخها علماء القرآن الكريم وغيرهم من المفسرين واللغويين والأصوليين والفقهاء والبلاغيين...، فمها قرأ قارئ مّا القرآن العظيم إنما تكون قراءته مشروطة بآداب وضوابط وقواعد، ناهيك عن علوم ومؤهلات وزاد لغوي ومعرفي وشرعي...

فلننظر ما أكده بعضهم بقوله« وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه. وأما المعاني فلا خفاءَ على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها. والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأَما أَن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزًا لأَنه جاءَ بأَفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له فى صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته؛ من تحليل وتحريم، وحضر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعًا كل شيءٍ منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق» (الخطابي، 1976، ص27)

فعلم النص ولسانياته ولسانيات الخطاب أو تحليله...، مصطلحات تخص كلام البشر اختصاصا مباشرا من غير شرط؛ ما دام النص والخطاب قد توفرت فيهما مكوناتهما، فليقرأ الناقد والمحلل والباحث ذلك بما شاء من الطرائق والمناهج والنقود، بخلاف القراءة القرآنية التي تحاول مقاربة معانيه ومبانيه الإعجازية تفسيرا أو تأويلا، مع حفظ الشروط...

وكل ما في الأمر أن لسانيات الخطاب القرآني مسلولة من البيان القرآني نفسه، وهو المنعوت بنظم معجز متفرد فرد لا كفؤ له، ومن الأدلة على ذلك بعض ما ذهب إليه العلماء المعتدلون الذين درسوا الإعجاز ونظْمه وحقائقه والمفسرون الذين شرحوه، كما سائر العلماء والبُحّاث والدارسين قديما وحديثا فيما استنبطوا وقرروا من صفات معينة اختص بها الكتاب المكنون...

العنوان في العربية مأخوذ من مادة " عنن " و" عنى " بمعنى الظهور والابتداء وكذا الاعتلاء والنّصص...، وعنوان الشيء سمته التي تميزه عن الآخر وتعيّنه وتحدده ؛ ومثل هذه الكلمة مثل الاسم الذي من وظيفته بيان الشيء أو الشخص وتمييزه عما سواه ؛

ومن أمثله الإعجاز السورة القرآنية التي تحيط بكل الآيات الكريمات تسْوِيرا، معنى ومبنى كالسُّورِ البياني لكل وحدة لغوية ودلالة مضمونية تحقق التطابق لكل جزء في السورة ، كما أنها تدل غالبا على أبرز أمر قد حوته تلك السورة خلاف غيرها، و تركيزا على بؤرته داخل منظومة الخطاب

المبحث الثاني:

2– اسم السورة عنوانها، وعلاقة التَّحْباكِ بين ذلك ونص السورة

التفاتة العلماء والمفسرين والباحثين المتقدمين والمتأخرين إلى السورة القرآنية وتسْويرها وبعض حقائق الإعجاز في ذلك كله، سابق بحثنا هذا؛ لكننا نحاول قراءة هذا الوجه الإعجازي متعلقا بالنظم وتأْلاف النص القرآني وتحْباكِه من حيث هو بيان مكتمل من الحرف والصوت والحركة والسكون والاسم والفعل والكلمة... والجملة والآية والسورة، والدلالات جزءا جزءا بحِكمها وأحكامها...، ثم كلِّه قرآنا متقنا صنعه، محكما تنزيله وبيانه وبلاغته؛ فالتَّحْباكُ حسن الرصف والتتابع بين الأجزاء مهما دقت أو عظمت، ومن التّحباك معنى الحسن والزينة والإتقان في بناء النظْم القُرقانِي.

يقول الأستاذ عبد السلام مقبل المجيدي عن هذا الباب « إنه بيان الإحكام القرآني المذهل بين الآيات التي كونت محورًا من محاور السورة القرآنية، والإحكام القرآني المدهش بين محاور السور، والموضوع القرآني الذي أنتجه إحكام الآيات والمحاور لتسورها السورة بسورها حتى جاءت كل آيةٍ وكل محورٍ في مكانه الذي ينبغي ألا يتقدمه ولا يتأخر عنه»(المجيدي، 2022، ص7)، هو بحث مطول يفي فيه صاحبه بنصيب وافر من الدراسة المبيّنة إعجازَ التسوير ومتعلقاته...

ومن قبله أورد دارس الإعجاز العلامة الباقلاني قوله تبيانا للشأن نفسه «ثم انظر في آية آية، وكلمة كلمة :هل تجدها كما وصفنا: من عجيب النظم، وبديع الرصف؟ فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتْها

أخواتُها، وضامّتها ذواتُها مما تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها؟ ثم من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف، وبليغ التنزيل.

وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بسط أفاد، وإذا اختصر كمل في بابه وجاد، وإذا سرح الحكيم في جوانبه طرف خاطره ، وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه، لم يقع إلا على محاسن تتوالى، وبدائع تترى » (الباقلاني، 1997 ،ص190- 192)

يذهب الباقلاني هنا إلى بسط قول فصل في تراتُب السور بتوقيف إلهي حكيم خبير، بكلامه عليما علاّما – سبحانه وتعالى–، حتى يعلم القاري والمتلقي المؤمن المقرّ، كما الجاحد الكافر وأمثاله عظمة الإعجاز في التوالي المتين المتضام، فلا يطمع أي امرئ في قراءة عِوج أو أمت، أو وهَن معاذ الله.

المبحث الثالث:

3– سورة العلق أول تضامٍ نظْمي في الخطاب الإعجازي

إن أول ما انبجس من الوحي الإلهي المعجز، هو مطلع هذه السورة الكريمة، فالآيات الخمس الأولى هي أوّل ما نزل من البيان العظيم باتفاق أكثر المفسّرين، إنها نقطة تحوّل كبرى في الكون برمته ف « لقد تحوّل خط التاريخ كما لم يتحول من قبل قط، وكما لم يتحول من بعدُ أيضًا، وكان هذا الحدث هو مفرق الطريق... إنه الحادث الفذّ في تلك اللحظة الفريدة. الحادث الكوني الذي ابتدأ به عهد في هذه الأرض، وانتهى عهد. والذي كان فرقانًا في تاريخ البشر لا في تاريخ أمة ولا جيل ». (قطب، 1986، ص 3938)

تتضمن الآيات البيّنات، الحوار الرّسالي الذي كان بين أمين الوحي جبريل عليه السلام، والنبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، مبتدئاً بأمر القراءة الافتتاحية باسم الله الموصوف بالرّبوبية، ومثنيًا بذكر منشإ الإنسان ومادّة خَلْقه، وبوصف الخالق عزّ

وجلّ بالكرم المطلق والجزيل، مختتماً بتبيان حقيقة العلم والتعليم، وإبراز مصدرية هذا التعليم (الذي علم بالقلم) فـ« الله هو الذي خلق. وهو الذي علم. فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة... والإنسان يتعلّم ما يتعلّم، ويعْلم ما يعْلم.. فمصدر هذا كلّه هو الله الذي خلق والذي علّم .. (علّم الإنسان ما لم يعلم)..» (قطب، 1986، ص 3938)

أما باقي آيات السورة الكريمة فقد نزلت فيما بعد، وفيها تبرز مواقف وقيم أخراة، نستشفها من خلال صور الطغيان والاستغناء والاستعلاء، وفي صورة الإنابة والرّجوع إلى الله عزّ وجلّ (إنّ إلى ربّك الرّجعى)، وفي مخالفة المشركين وعصيانهم وعدم موالاتهم، وبالتقرّب من المولى عزّ و جل (كلاّ لا تُطعْه واسجدْ واقْترب). وفيها تُعْرَضُ صورة خاصّة من صور هذا الطغيان الإنساني، والمتمثلة في رأس الشرك والجهالة؛ ذاك هو أبو جهل المتمرّد المتوعّد المتجبّر.

هذا عن سورة "اقرأ" وما حوته من معانٍ ساميةٍ ومضامين راقية، ترقى بالإنسان إلى أقصى درجات الإيمان والتوكّل والعبودية.

وأمّا عن إعجازها البياني، والبلاغي، فهو بحرٌ زاخرٌ وعظيم، لن نستطيع الإحاطة بمكنوناته ودرره إلا بما شِيءَ لنا من حول الله وقوّته ... فهو المعلّم والملهم؛ وهو المحيط بكلّ شيء علمًا...

والتّرْداد أكبر من التَّكرار وأعم؛ هو واحدةٌ من الدرّر المعجزة المتناثرة على صفحات هذا البيان المعجز الخالد خلود الرسالة المحمدية الخاتمة... وقد تعدّدت صُوُرُه وأشكاله في هذه السورة؛ فتنوّعت بين ترداد الحرف والأداة تارة وبين ترداد الأسماء و الأفعال و الضمائر تارة أخرى، وبين ترداد أشباه الجمل والجمل تارات أخر.

أ- ترداد الحرف والأداة: لقد اقتضت أسس البيان العربي أن يكون الحرف أصغر مكوِّنة بيانية يُبنى بها الكلام فيُفْهَم ويُفْهِم، بل قد تعدّت وظائف الحرف وآلياته إلى أبعد

من كونها مكوّنات بيانية نَظْمية أو هندسية تركيبية. فقد يرِد الحرف مُكوّناً بيانياً مستقلاً بذاته، ذو وظيفة دلائلية... ومن هذه الحروف المفردة والمزدوجة والثلاثية، حروف العطف والجرّ والاستئناف والخطاب والاستفهام والحروف المصدرية والتوكيدية، وأدوات الاستثناء، وأدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة... وغيرها.

وبهذه الأحرف و الأدوات حفلت سورة العلق؛ فكانت الأحرف الإعجازية الأولى التي صاغت أوّل وحيٍ نزل على المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

كلاّ إنَّ الإنسن ليطغى.

إنّ إلى ربك الرجعى.

تردد حرف التوكيد والنصب "إنّ" مرتين اثنتين، حيث جاء ترداده جلياً، أي بالمعنى والمبنى معاً، وهذا لتأكيد حقيقتين قرآنيتين، أولاهما حقيقة إنسانية، متمثلة في ذلك الإنسان الطاغي، المستغني الذي يُنكر نِعَمَ الله وعطاءَه، والحقيقة الأخرى إيمانية، لا يتمّ الإيمان إلا بها، وهي ضرورة الرُّجعى إلى الله.

وكان لحرف النفي والجزم "لم" ترداد بارز في السورة الكريمة، فبترداده المعجز ثلاث مرات اتّضحت من خلاله معالمُ الصّرح الإيماني والرسالة العظمى التي اصطفاها المولى عزّ وجلّ لعباده، فعلّم محمّداً– صلى الله عليه وسلم– ما لم يعلم و(علّم الإنسان ما لم يعلم)، ثم نبّهه إلى حقيقة الإنسان المتمادي في غيّه وطغيانه، فتردّد ذكرُ حرف الجزم "لم" في صورة استفهام تنمّ عن تهديد ووعيد إلهي يترصّد كل طاغية باغية؛ "ألم يعلم بأنّ الله يرى" تكذيبه وتولّيه عن الحقّ، وتجبّره وتعاليه على الخلق. ثم يتكرّر هذا الحرف المعجز للمرّة الثالثة، جازماً في ترداده حقيقة قرآنية أخرى، تمثلت في الرّدع العنيف والأخذ الشديد لذلك المتكبّر الآثم (كلا لئن لم ينته لنَسْفعًا بالنّاصية).

(كلا إنّ الإنسان ليطغى)

(كلا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية)

(كلا لا تطعه واسجد واقترب).

ترددت لفظة "كلا" ثلاث مرّات فوردت أوّل ما وردت مقرّرةً الحقائقَ في حياة الإنسان وتقلباته...، ثم رادعةً وزاجرةً لذاك الذي ارتضى لنفسه حياة الطغيان والعلوّ والاستغناء بغير حق، ثم آمرةً النبي صلى الله عليه وسلم بالسجود والتقرّب والاحتماء بركن الله القوي الأمين.

ولعل المساحة الزمنية الترادادية التي تخلّلت مواقع هذه اللفظة من سورة العلق، والتي أرادها الله عز وجل على هذه الشاكلة دون سواها؛ أضفت على تلك الصور المشهدية دقّة و تّبيانيّة متناهية في الإحكام الدلالي والسبك المبنوي.

جاءت اللام مزحلقة واقعة في خبر إنّ الواردة في سياق التقرير الإلهي، الذي جرى على اللسان العربي المبين (كلا إن الإنسان ليطغى)، ثم تواردت مرتين أخريين مؤكّدة قوّة الله عزّ وجلّ الفعال لما يريد في الطغاة من عباده..(كلا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية).

تردّد حرف الواو بين العطف والاستئناف، ففي قوله تعالى (وربّك الأكْرم) جاءت الواو استئنافية للكلام، وتفصيلية لما أُشكِل عليه صلى الله عليه وسلم من أمر القراءة "اقرأ".

كما وردت الواو عطفيةً في قوله تعالى(أرآيت إنْ كذَّب وتولّى) وفي قوله أيضاً (كلا لا تُطعه واسجدْ واقترب).

ففي هاتين الآيتين الكريمتين تردّدت واو العطف ثلاث مراتٍ؛ مبنىً و معنى، بخلاف الواو الأولى التي جاءت استئنافية تفصيلية، فقد تردّدت بالمبنى دون المعنى.

تردّدت همزة الاستفهام أربع مرات، ثلاث منها وردت على شكل استفهامات تعجّبيّة تعرض «صورة من صور الطغيان. صورة مستنكرة يعجب منها، ويفظع وقوعها في أسلوب قرآني فريد»(قطب، 1986، ص 3942) ؛ وهذا في قوله تعالى (أرأيت الذي

ينهى عبدًا إذا صلّى، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، أرأيت إن كذب وتولى) وواحدة خَتم بها هذا العرض التصويري المعجز في شكل استفهام تهديدي عنيف تمثّل في قوله جلّ وعلا (ألم يعلمْ بأنّ الله يرى).

تردّد "الباء" كحرف جرّ ستّ مرات في هذه السورة، مرّتين بالمعنى والمبنى معاً، وأربعا بالمبنى دون المعنى؛ ففي الآية الأولى (بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق)، تعلّقت الباء باسمي الجلالة (الله والرّب) تنزيهًا له سبحانه وتعالى عمّن سواه وعمّا عداه، وفي الآيات الكريمة الأخراة: (الذي علم بالقلم)، (أو أمر بالتقوى)، (أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى)، (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية). فقد تعلّقت في الأولى بقلم القدرة الإلهية المعجز، المتميّز عن كل أقلام الكَتَبَة والخطّاطين، ثم تكرّرت في الثانية، مُجاورةً للفظة التقوى التي ما جاورت قلب مؤمن إلا و نجا، ثم تردّدت في الثالثة شاهدةً ومعلنةً عن علم الله بالغيب، وعن رؤيته المنزّهة عن رأي العين والقلب والفكر... وفي الآية الرابعة، تتردّد الباء مرة أخرى، جارّةً لناصية ذلك المكذّب الطاغية وساحبةً إياه بها إلى نار جهنم.

(أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذّب وتولّى)

(كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية)

في هذه الآيات الكريمات تردّدت أداة "إنْ" الشرطية ثلاث مرّات؛ فوردت مرّتين في خطاب إلهي موجّه إلى النبي الكريم، مفاده: أخبرني يا محمد: « عمّن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهي عنه من عبادة الله أو كان آمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولّي عن الدين الصحيح» (الزمخشري، ص224)

وتكرّرت مرّة أخرى في تلك الآية الرادعة الزاجرة، الموجّهة سهامها إلى ناصية ذلك الطاغية المكذّب الجاحد، إن لم ينته عن غيّه وبغْيه.

إنّ في اختلاف هذه الحروف والأدوات و تلاون تردداتها في سورة العلق، لآية "معجزة" على فردانية الأسلوب القرآني الفذّ المعجز؛ وواحدية التّصوير الفنّي البديع.

ولا ريب، في أن هذه الشاكلة التسْويرية وآلاتها البيانية التي صيغَت بها الترددات المتضامّة ممّا يعجز اللسان عن وصف حُسْنِها، وشدّة إحكامها المعماري الذي اتّسقت به سورة اقرأ وآياتها، و به تماسكت.

المبحث الرابع:

4– التَّسْوارُ الإعجازي وبعض خصِيصاتِه في سورة يوسف –عليه السلام–

مما لا يخفى على المتدبر أن الله تعالى اجتبى كلامه بخصائص عدة منها أن القصة القرآنية متعلقة بسبب النزول حيث إن سورة يوسف لها علاقة بمثير أرضي تعرض مسيرة الدعوة المحمدية ذلك الذي نراه في « الآية الثالثة قوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فتلاه عليهم زمانا ، فقالوا ، يا رسول الله لو حدثتنا ، فنزل﴿الله نزل أحسن الحديث ﴾ الآية ، زاد ابن أبي حاتم فقالوا ، يا رسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم الآية ، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : قالوا ، يارسول الله لو قصصت ،علينا فنزلت ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ وأخرج ابن مرديه عن ابن مسعود مثله» (السيوطي، 1984، ص 158) ، و ذاك فضل بيّن فازت به سورة يوسف كقصة يعتبر بها المعتبر كما أنها قصة تؤازر النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فهي سنده تدفع عنه المحن فيغلبها...وهي براءة دالة على أميته، وحجة تقر افتضاح بعض أهل الكتاب بزيفهم وقولهم على الأنبياء بهتانا عظيما...

و المناسبة المعجزة في نزول القصة اليوسفية شديدة الصلة بحقيقتي الزمان والمكان؛ فمن حيث الزمان، فقد كانت فترة نزول هذه السورة المباركة فترة ساخنة تكالب فيها اليهود و مشركو قريش والمنافقون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وأنه فقد

ظهيرين لهما ما لهما من البر و الإحسان و المنعة « فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب ، بهلك خديجة ، و كانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو إليها ، وبهلك عمه أبي طالب ، و كان له عضدا و حرزا في أمره ، ومنعة و ناصرا ... فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب» (ابن هشام، 1984، ص 79. 80)، و ذاك سبيل الدعوة المحمدية في تعثراتها بسبب هؤلاء الأقوام الذين آثروا الشرك على الإيمان ، بل تجاوزوا هذا إلى أن حادوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فنزلت عليه السورة بردا و سلاما و عليهم حجة و تبكيتا و إن « هذه السورة مكية نزلت بعد سورة هود ، في تلك الفترة الحرجة... بين عام الحزن بموت أبي طالب و خديجة ، سندي رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين العقبة الأولى ثم الثانية التي جعل الله فيهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم و للعصبة المسلمة معه و للدعوة الإسلامية فرجا ومخرجا بالهجرة إلى المدينة ..و على هذا فالسورة واحدة من السور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة و في حياة الرسول صلى الله عليه و سلم و العصبة المسلمة معه في مكة..و السورة مكية بجملتها» (قطب، 1986، ص 1949)، وذاك من حيث المكان و هو مكة التي ضاق بها النبي ذرعا بما رحبت لتهالك الجهال عليه « فقد روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر و عن قصة يوسف » (الزمخشري، ، ص240)، فقد جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم لعلمهم بحقائق قصة يوسف عليه السلام ، إنما هو العناد واللؤم و ذاك دأبهم في الحماقة و المكر والغباوة .

و من ههنا نستنتج التشابه القوي بين قصة يوسف عليه السلام وفترة الدعوة المحمدية، فهما تتشاطران حمأة الهموم الجاهلية وتتحملانها بوعي وهدي، و بهذا فالسيرتان اليوسفية و المحمدية تمضيان في مسار تاريخي واحد يكشف عن القاسم المشترك في خروج النبيين من أرضهما و قد سيما ظلما وعدوانا و هما يدعوان إلى توحيد الواحد تعالى...

و مما سبق نستنبط ملامح الإعجاز الفني الذي اتضح جليا في إعطاء سبب النزول للقصة القرآنية طرازا فذا لا ند له ، فهي سرد معجز تمليه إعجازية المناسبة الخاضعة لقدرته تعالى القائمة على ترسيخ الغرض الديني...و ليست كالقصص الوضعي الذي تنتظمه اجتهادات الإنسان و خياله وتسويغاته حسب إرادته و هي عاجزة مهما أجاد وأتقن.

تجليات الإعجاز التّسْويري الفني في استهلالة السورة و خاتمتها :

أ / الاستهلالة : [من الآية 1 إلى الآية 3] :

بادىء ذي بدء نثبت ما تحمله مقدمة السورة من إعجاز فني :

1 . بدء السورة بالبسملة ثم بفاتحة من فواتح السور وهي "ألر" هذه أول معجزة تتكشّفُ لقارئ السورة ، و لن نخوض فيما ذهب إليه القائلون في هذا المقام . ونكتفي بواحدة هي : انفراد النص القرآني بمثل هذا البدء ، فكفى به إعجازا فما نحن بواجدين لهذه الخصيصة المعجزة مثيلا أبدا . و هو سر قرآني احتفظ به الله تعالى في علمه حتى نمتثل لمدرسة الإعجاز القرآني امتثال افتقار و افتكار... و هذه الثلاثة الحروف يعجز البشر أمامها ؛ فهم بإمكانهم معرفة كلمات القرآن و آياته الأخرى و يجتهدون في بعضها و يختلفون في البعض الآخر و هكذا... لكن الله تعالى أعجزهم في الحروف بوصفها أبسط الوحدات التي تركب النص القرآني . فالحرف القرآني الواحد إعجاز في ذاته ...

2 . تنبيه القارئ إلى أنه أمام آيات الكتاب المبين قبل الدخول إلى القصة، و أنها قرآن عربي للعاقلين ، ثم إعلان فعل "نقُصّ" على أن الآيات القرآنية العربية المبينة ستسرد أحسن القصص.

و التنبيه إلى آيات القرآن دلالة تأطيرية لما سيتلو هذه المقدمة السردية من القص ، و ما السورة إلا وحدة من النص القرآني الكلي ، حتى يشعرنا الخطاب اليوسفي بأننا أمام سرد له سمات تنعدم في الخطابات الأخرى فالإعلام عن الكتاب المبين و الإنزال العربي

من اللوازم الاستهلالية في كثير من سور القرآن لأنها تؤكد ملحة على تلكم الكلية المستقطبة لوحداتها السورية .

3 . المقدمة خطاب مباشر لسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم كقارىء أول ومثالي لهذا النص ، و هي دلالة على الرباط النبوي المعقود بين محمد صلى الله عليه وسلم و يوسف عليه السلام و هو رباط كشف عنه سبب النزول كما مر بنا .

4 . و الآية الثالثة تهيئ الجو للنبي صلى الله عليه و سلم تهيئة صريحة بأنه سيقرأ أحسن القصص وحيا ، فهو كلام الله المعجز لِيُشرّعَ القراءةَ الحقة للمتلقي باعتباره مأمورا بالتدبر و النظر .

5 . أحسن القصص كمالا و إعجازا على الإطلاق ما دامت قرآنا كريما ؛ ففيها كل شيء يستفهم عنه القارئ أو يغفل عنه ؛ فأحسن القصص يخدم هذا المخلوق و من أجل سعادته دنيا و أخرى جيء له بالخطاب القرآني شهادة له أو عليه... في كل شيء !

« الوجه الخامس من وجوه إعجَازه افتتاح السور وخواتمها وهو من أحسن البلاغة عند البيانيين و هو أنْ يتأنق في أول الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً قِبَل السامع قَبِلَ الكلام ووعاه، وإلاأعرض عنه، وإن كان في نهاية الحسن، فينبغي أن يُؤتى فيه بأعذب اللفظ

وأرقّه، وأجزله وأسلسه، وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحه معنى وأوضحه، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملْبِس، أو الذي لا يناسب.

قالوا :وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأكملها، كالتحميدات، وحروف النداء، والهجاء، وغير ذلك.

ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله، والعَلَم الأسنى في

ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن! فإنها مشتملة على جميع مقاصده، لأنه افتتح فيها فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن.

وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة، والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة.

وخواتم السور مثل الفواتح في الحسن، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوّق إلى ما يذكر بعد، لأنها بين أدعية ووصايا، وفرائض، وتحميد وتهليل ومواعظ، ووعد ووعيد، إلى غير ذلك، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغَضَبِ الله والضلال... » (معترك الأقران، 1988، ص 58)

ب/ الخاتمة : [من الآية 102 إلى الآية 111] :

أول ما يتجلى في معالم الإعجاز الفني هذا الختم الأخير لسورة يوسف و قد توجه الخطاب القرآني إلى ذكر النبي محمد صلى الله عليه و سلم في فنية التعقيبات الدينية ، كما ابتدىء بذكره في مطلع السورة ، ليؤطر نص القصة بين ذينك الطرفين : البدء و الختام ، فبعد عرض القصة كاملة متكاملة يعرج الخطاب إلى عهد الدعوة المحمدية ليعلم المتلقي أن الجامع بين يوسف و محمد عليهما السلام الدعوة إلى توحيد الله تعالى و هو غرض القصة الفنية القرآنية وهذا واضح في اسم الإشارة [ذلك] الذي يربط الوحي المحمدي بقصة يوسف كوحي نبوي محتوى في القرآن الكريم ؛ الكتاب المحفوظ {ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك و ماكنت لديهم إذا أجمعوا أمرهم و هم يمكرون}، و هذا الوحي المحمدي الذي يعتبر بهذا الشكل معجزة المعجزة فهو قرآن كريم معجز يضم معجزة الرؤيا اليوسفية ، فسورة يوسف تتنزل للنبي محمد لما مكر به المشركون و اليهود كما مكر الإخوة بيوسف ، « إن الخطاب القرآني يمثل قوة سردية باهرة، بهذا الاختراق الحيوي الذي يزاوج بين الموضوعات ، في انبعاث طبيعي يجعل من الحدث القصصي لا يفتأ ينجم في

تخريجات فنية، وبيانية ، ووجدانية عبر المتن القرآني ،بتساوق مضيء يجسد التنوع الجمالي ضمن وحدة أدبية راسخة هي أدبية الخطاب القرآني المجيد» (عشراتي، 1998 ، ص 206) ، و هكذا تنطبق قصة الدعوة المحمدية على الدعوة اليوسفية و لواؤهما موحد في الغرض الديني [بث عقيدة التوحيد و نشرها] .

و قوله تعالى { و ما أكثر الناس و لو حرصت بمؤمنين}، « يريد العموم كقوله ؛و لكن أكثر الناس لا يؤمنون، و عن ابن عباس رضي الله عنه أراد أهل مكة أي و ما هم بمؤمنين» (الزمخشري، د.ت، ص 277) لأنهم جهروا بالجحود والنكران فعميت قلوبهم ، و كأننا بالخطاب القرآني يطمئن محمدا صلى الله عليه و سلم على المضي في الدعوة دون أن يأبه بعداوات اليهود وأحقاد المشركين فسيكفيه الله إياهم ، و لو كانوا أهلا للهدى لاعتبروا بالأمم الخاليات التي سيمت بألوان العذاب خسْفا و غرَقا و رجفة... و هم من الحماقة في غي مستمر لا تثنيهم ذكرى الساعة لأنهم آيلون إلى الهلاك و البوار !

و يأمر الله تعالى نبيه برسالة فيؤديها إذ لا يخاف بخسا و لا رهقا « (..قل هذه سبيلي...) واحدة مستقيمة ، لا عوج فيها و لا شك ولا شبهة» (قطب، ، 2034)، رسالة تنزه الله تعالى عن الشرك و ضروبه و تنير صراط العزيز الحميد .

و النبوات تترى لا تفتأ تبشر و تنذر و تقرع بالوعيد {حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فننجي من نشاء و لا يرد بأسنا عن القوم المجرمين} فانتصر يوسف عليه السلام و اجتباه ربه و علمه من تاويل الأحاديث و أتم عليه النعمة، وانتصر محمد صلى الله عليه و سلم فبلغ الرسالة و أدى الأمانة و فتح الأقطار و دخل الناس في دين الله أفواجا و ختم عهد إخوانه الأنبياء، خير ختام فكان أن أرسل للعالمين قاطبة و جعلت أمته وسطا.

هكذا تمتعنا سورة يوسف بقصة فنانة معجزة حوت حبكة رؤياوية هي أحسن القصص كما حوت قصة الإيمان أي [الغرض الديني] الذي يضمن لنا البناء الفني المطلق للأسس السردية في النص اليوسفي ، والتعقيبات لما تحيط بالقصة الفنية اليوسفية عند الختام فهي تطبعها بالإعجاز و به تتميز عن القصص غير القرآني .

التعقيبات و إعجازها: لا مراء في أن القصة القرآنية حاملة للغرض الديني الذي هو لازمتها معنى ومبنى حتى صارت به منفردة معروفة و الملاحظ الذي تنبهر له النفس هو تلك الصنعة الحكيمة في شد هيكل القصص القرآني بهذه التعقيبات التي لا تخلو منها قصة قرآنية، و هي تعقيبات قد تسلك تركيبا ثلاثيا معجزا؛ فقد تتقدم القصة ثم تتخلل المشاهد بين الفينة والأخرى، أو قد تجيء خاتمة يقفل بها باب القصة ، و ذاك ما يزيد قارئها تشوقا وانجذابا نحو المضمون من دون سأم أوضجر ، حيث إن من حِكَمِ الخطاب القرآني في التعقيبات المحافظةُ والحرص على حضور القارىء و خدمة ما يطلبه عقله و عاطفته من القصة عبرة ودروسا و منهجا و تذوقا فنيا معجزا ، فلن تجده مشمئزا أمام عرض المشاهد تترى أمامه ، إنما هو في راحة فنية ونفسية ما دام أنه يُعلَمُ بين اللحظة و الأخرى بنداء يدعوه إلى التدبر و الاستنصاح وكأنه مقصود من تلك الخطابات القصصية، و كل ذلك لن يُذهب طلاوة القصة القرآنية الفنية بل يزيدها قوة تستحوذ على روح السامع فيروح واعيا للمعاني جاريا وراء المباني في غبطة لا تعلوها السآمة أو الجهل بالمدلولات.

«... ويجب أن نذكر دائما أن القرآن كتاب دعوة دينية ، و أن التناسق بين حلقة القصة التي تعرض والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم . و هذا يتوافر دائما و لا يخل بالسمة الفنية إطلاقا... و كان من أثر خضوع القصة للغرض الديني أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة قبلها و بعدها وفي ثناياها كذلك... فأما ما يذكر من التوجيهات قبلها: التنبيه إلى دلالة القصص على الوحي بها، كما في قصة يوسف عليه

السلام قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن...)، وثانيا مجيء القصص مصدقة للإنباء مثل (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم و أن عذابي هو العذاب الأليم)، ثم سرد القصص التي تدل على الرحمة و التي تدل على العذاب. وأما ما يذكر منه بعدها التنبيه إلى دلالة القصص على الوحي بها كما في أعقاب قصة نوح في سورة هود قوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين)، و التنبيه إلى أن عقاب الله عادل إذ يقول عز وجل (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا و منهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض. و منهم من أغرقنا و ما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون)، و أما ما يذكر من التوجيهات في ثناياها كقوله تعالى (من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له

وليا مرشدا) ، ذاك الذي نراه مغروزا وسط مشاهد قصة أصحاب الكهف» (قطب،، ص 127)

خاتمة:

نوجز مقاربتنا في هذا المبحث الإعجازي العزيز بالقول إن دراسة هذا الركن المعجز في بيان القرآن العظيم والكشف عن أسراره وحكمه وباقي ميزاته الفردانية واجبة وقائمة لا تنفد عطاءاتها وحقائقها، وللدارسين والبحثة بسط النظر وفتح باب الاذِّكار في هذا الفصل المعجز، أي التَّسْوار ومتعلقاته المؤثلة للبيان العربي والإنساني، ومحاولة منا يمكننا بيان النتائج والمخرجات الآتية:

1- النظم الإعجازي واقع في المعنى والمبنى على حد سواء، نظْم له بلاغة اِتّساق ومشكاة نور، هو هداية وشفاء لما في الصدور، تلك أنْظام معجزة تَخِذَت آلات تِبْيانية في محْكم الآيات والسور، من اجتماع القول لفظا ودلالة في الكتاب العزيز.

ولذلك القول أوجه متعددات في ابتِناء الآية ثم السورة وقد اكتملت معانيهما القصدية بعد تضامٍ نظمي معجز يُؤالِف بين الصوت والمعجم والكلمة والجملة والتركيب وأنواع الأساليب والصور والفواصل والفصل والوصل وسائر الروابط وأدوات شتى ولذلك القول أوجه متعددات في ابتِناء الآية ثم السورة وقد اكتملت معانيهما القصدية بعد تضامٍ نظمي معجز يُؤالِف بين الصوت والمعجم والكلمة والجملة والتركيب وأنواع الأساليب والصور والفواصل والفصل والوصل وسائر الروابط وأدوات شتى...

2- دلالة الإحاطة هي المقصودة بالتسْوير علامة على حدّيْ السورة بدءا وختما، وكذا تجميعها الإعجازي الدال عليها من جهة مضمونها ومعانيها وسبب نزولها وكل مُتَقصّداتِها المرادة منها...، وأيّ تجميع سُورِي في كل سورة موصول بالتّسوير الكامل التام في القرآن الكريم كله سورة سورة، فالقرآن مُسَوَّر أيضا، مجموع من حد فاتحته إلى حد سورة الناس.

3- لسانيات الخطاب القرآني مسلولة من البيان القرآني نفسه، وهو المنعوت بنظم معجز متفرد فرد لا كفؤ له، ومن الأدلة على ذلك بعض ما ذهب إليه العلماء المعتدلون الذين درسوا الإعجاز ونظْمه وحقائقه والمفسرون الذين شرحوه، كما سائر العلماء والبُحّاث والدارسين قديما وحديثا فيما استنبطوا وقرروا من صفات معينة اختص بها الكتاب المكنون...

4- الشاكلة التسْويرية وآلاتها البيانية التي صيغَت بها الترادات المتضامّة ممّا يعجز اللسان عن وصف حُسْنِها، وشدّة إحكامها المعماري الذي اتّسقت به سورة اقرأ وآياتها، و به تماسكت.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، المصحف الشريف، برواية الإمام ورش عن الإمام نافع

ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، طبعة جديدة، (د.ت)، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي

ابن هشام ، مختصر سيرة ابن هشام ، (السيرة النبوية) ، إعداد : محمد عفيف الزغبي ، مراجعة : عبد الحميد الأحدب ، دار النفائس ، بيروت ، ط :5/1404 هـ .1984 م

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، الجزء1، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416 هـ - 1996 م

جلال الدين السيوطي ، لباب النقول في أسباب النزول ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط 3/ 1984

السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م

الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، 1976م

الكتاب: إعجاز القرآن للباقلاني، المؤلف: أبو بكر الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف–مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

عبد السلام مقبل المجيدي، تسويرُ السُّورةِ القرآنيةِ.. إعجازٌ متجدّدٌ، دراسةٌ تطبيقيةٌ على سورةِ النساءِ، مجلة كلية الشريعة/ جامعة قطر/ العدد 1، المجلد 40، 2022

سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: بيروت، لبنان، مج 6 و مج 4، ط12/ 1986

سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم

الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ج،4

سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، د.م.ج، الجزائر، 1998.